

الخطبة الإذاعية (61) : خ 1 - حقائق عن الحج ، خ 2 - تحطم المركبة كولومبيا رسالة من الله.

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 07-02-2003

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الأولى:

الحمد لله معز الإسلام بنصره، ومذل الشرك بقهره، ومصرف الأمور بأمره، ومديم النعم بشكره، ومستدرج الكافرين بمكره، الذي قدر الأيام دولاً بعده، وجعل العاقبة للمتقين بفضله، وأظهر دينه على الدين كله، القاهر فوق عباده فلا يماني، والظاهر على خليقه فلا يُنزاع، والأمر بما يشاء فلا يُراجع، والحاكم بما يريد فلا يُدَافع . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الأحد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، أول الخلق، وحبيب الحق، سيد المربيين، وإمام المجاهدين، والمبعوث رحمة للعالمين. اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد، وعلى آله وأصحابه أمناء دعوته، وقادة أولويته، وارض عنا وعنهم يا رب العالمين.

عباد الله أوصيكم ونفسي بتقوى الله وأحثكم على طاعته وأستفتح بالذي هو خير.

الغاية الكبرى من الحج أن تعود كيوم ولدتك أمك:

أيها الأخوة المؤمنون في دنيا العروبة والإسلام، إن الحج هو الفريضة البدنية المالية الشعائرية، وهي في حقيقتها رحلة قلوب لا رحلة أبدان، هي في حقيقتها رحلة نفوس لا رحلة أشباح، لأن الله سبحانه وتعالى يقول:

(رَبَّنَا إِلَيْيَ أَسْكَنْتَ مِنْ ذُرِّيَّتِي بَوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمَ رَبَّنَا لِيُقْيِمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعُلْ أَفْنِدَةً مِنْ
النَّاسِ تَهُوِي إِلَيْهِمْ وَأَرْزُقْهُمْ مِنْ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ) (37)

(سورة إبراهيم)

والنبي صلى الله عليه وسلم كان يقول:

((أنا دعوة أبي إبراهيم، وبشارة أخي عيسى، ورأت أمي حين حملتني أنه خرج منها نور أضاءت له
قصور بصرى))

[البيهقي في شعب الإيمان عن العرابي]

ومناسك الحج من شعائر الله، قال تعالى:

(وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَثْوِي الْقُلُوبِ) (32)

(سورة الحج)

قال بعض العلماء: أداء الشعيرة شيء وتعظيمها شيء آخر، من تعظيمها أن تؤديها إليها الحاج كما فعلها رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومن تعظيمها أن تؤديها على شوق وطيب نفس لا على تألف وتملل، ومن تعظيم شعائر الله أن يؤديها الحاج، ويتنى أن يؤديها مرات ومرات.

إن المشاعر التي يشعر بها الحاج، وهو في المشاعر المقدسة، هي بوتقة ينهر فيها قلب المؤمن حتى يتخلص من أدرانه عوداً به إلى يوم ولته أمه، نقي القلب، صافي النفس، تلك هي الغاية الكبرى من الحاج، أن تعود إليها الحاج كيوم ولدتك أمك.

الحكمة من تشريع اللون الواحد والتصميم الواحد لثياب الحاج:

أيها الأخوة المؤمنون حضوراً ومستمعين، يقول ربنا جل جلاله:

(جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَاماً لِلنَّاسِ وَالشَّهْرُ الْحَرَامُ وَالْهَدْيُ وَالْقَلَادَ دُلُكَ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ)

(سورة المائدۃ الآية: 97)

من أدق ما قاله المفسرون حول هذه الآية : إن المسلم بحج بيت الله الحرام، وتعظيم شعائر الله، وعقد العزم على طاعة الله، واتباع سنة نبيه صلى الله عليه وسلم، تقوم وتتحقق مصالح المسلم في الدنيا والأخرة، وعندئذ تتوقف المعالجة الإلهية:

(مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ أَيْمَمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلَيْمًا(147))

(سورة النساء)

أيها الأخوة الأحباب، يخلع الحاج ملابسه المخيطة والمحيطة، والتي تعبر بشكل أو باخر عن دنياه، عن حجمه المالي، عن مرتبته الاجتماعية، عن مرتبته الوظيفية، بل عن درجته العلمية والدينية أحياناً، هذه الملابس المخيطة والمحيطة، قد تعبّر عن نوع انتماهه إلى أمة، إلى شعب، إلى قبيلة، إلى عشيرة، فلو بقي المسلم بلباسه لمتصفاً بدنياه، أو بقبيلته، أو بطبقته، أو بمن على شاكلته، ولكن الإسلام لحكمةٍ كبيرة شرع اللون الواحد، والتصميم الواحد، حتى تختفي الهوية الخاصة، ويبدو البشر كياناً واحداً، ومن ثم تتعامل معهم بداعي إنساني خالص، بعد ما ذابت الفروق الطبقية، والهويات الإقليمية، والانتتماءات المتعددة، ليبرز هذا اللباس معنىً واحداً، هو الإنسان على فطرته السليمة في مواجهة خالقه الواحد الديان.

ممنوعات من لوازم الإحرام:

بعد أن يخلع الحاج ثيابه المخيطة والمحيطة، ويرتدى ثوب الإحرام الموحد، يدخل في أفق الممنوعات، في باطنه ممنوع أن يفكر في شيء يؤذى الحرم، ومع الناس، فلا رفت، ولا فسوق، ولا جدال في

الحج، ومع الحيوان، فلا يُصطاد، ولا يقتل، ومع النبات فلا يُقطع، ولا يشوه، ومع الحجر فلا يكسر ولا يقتلع، هذه الممنوعات التي هي من لوازم الإحرام، ليكون الحج سلاماً دائماً قال تعالى:
(إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لِلَّهِي بِبَكَةً مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ (٩٦) فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلَمْ يَأْتِهِ عَلَى النَّاسِ حُجَّ الْبَيْتِ مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ عَنِّي عَنْ)
الْعَالَمِينَ (٩٧)

(سورة آل عمران)

فإن الحاج المحرم يُحظر عليه لبس المخيط من الثياب، ويُحظر عليه التطيب بكل أنواع الطيب، ويُحظر عليه الحلق والتقصير، ويُحظر عليه مقاربة المتع التي أبيبـت له خارجـ الحجـ، كلـ ذلك ليـ حـكمـ اتصـالـهـ باـلـلـهـ، ولـيـسـعـدـ بـقـرـبـهـ وـحـدهـ ، بـعـيـداـ عـنـ كـلـ مـاـ دـاـخـلـةـ مـنـ مـتـعـ الـأـرـضـ، ليـتـحـقـقـ الحاجـ أـنـهـ إـذـ وـصـلـ إـلـىـ اللهـ وـصـلـ إـلـىـ كـلـ شـيـءـ، وـأـنـ الدـنـيـاـ كـلـهاـ لـاـ يـمـكـنـ أـنـ تـمـدـ إـلـيـهـ بـسـعـادـةـ مـسـتـمـرـةـ، بلـ مـتـافـصـةـ، ولـيـنـطـلـقـ لـسـائـهـ بـشـكـلـ عـفـويـ قـائـلـاـ: ياـ ربـ، مـاـذـاـ فـقـدـ مـنـ وـجـدـ؟ وـمـاـذـاـ وـجـدـ مـنـ فـقـدـ؟ فـوقـ ذـلـكـ فـيـ إـلـيـانـ غـرـيـزـةـ حـبـ الـاسـتـطـلـاعـ، فـهـوـ فـيـ أـصـلـ طـبـعـهـ لـاـ يـقـبـلـ عـلـىـ عـمـلـ إـلـاـ إـذـ عـرـفـ حـكـمـهـ، وـحـقـ بـهـ مـصـالـحـهـ الـعـاجـلـةـ وـالـظـاهـرـةـ، لـأـنـهـ يـحـبـ نـفـسـهـ حـبـ جـمـاـ، وـهـذـاـ مـرـكـبـ فـيـ أـصـلـ طـبـعـهـ، وـلـأـنـ الحـجـ بـهـذـهـ المـمـنـوـعـاتـ، وـبـهـذـهـ الـمـنـاسـكـ الـتـيـ لـاـ تـظـهـرـ حـكـمـتـهـ لـلـوـهـلـةـ الـأـولـىـ، لـاـ يـلـبـ يـ هـذـهـ الحـاجـ الـفـطـرـيـةـ، وـالـفـكـرـيـةـ، وـالـمـادـيـةـ، لـذـلـكـ يـحـتـاجـ الحاجـ إـلـىـ درـجـةـ عـالـيـةـ مـنـ إـلـيـمـانـ بـحـكـمـةـ اللـهـ وـعـلـمـهـ، وـيـحـتـاجـ إـلـىـ درـجـةـ عـالـيـةـ مـنـ العـبـودـيـةـ لـهـ.

أيها الأخوة المؤمنون، أيتها الأخوات المؤمنات، يقول عمر رضي الله عنه : " تفهوا قبل أن تحروا ". فالعبادة في حقيقتها تعني خروج العبد من مراده إلى مراد ربها، وهذا يبدوا جلياً واضحاً في الحج . أيها الأخوة الأحباب، يتساءل بعضهم، هل مع هذا التسليم المطلق بحكمة ما أمرنا به إعمال للعقل ؟ الجواب: " لا " ، لأنه لن يكون العقل حكماً على النقل ، ولكنه مسموح للعقل أن يفهم حكمة النقل ، مسموح له أن يطير في المجال الجوي الإسلامي ، مسموح له أن يسبح في المياه الإقليمية الإسلامية ، مسموح له أن يسبح ولا يشطح.

فضل يوم عرفة

أخوة الإيمان في كل مكان، ويأتي موقف عرفة . في يوم عرفة من الأيام الفضلى، تجاب فيه الدعوات، وتنقال العثرات، ويباهي الله فيه الم لائكة بأهل عرفات، وهو يوم عظيم الله أمره، ورفع على الأيام قدره، وهو يوم إكمال الدين، وإتمام النعمة، ويوم مغفرة الذنوب، ويوم العنق من النيران، إنه يوم اللقاء الأكبر بين العبد المنيب المستيق، وبين ربه الرحيم التواب، بين هذا الإنسان الحادث الفاني، المحدود الصغير،

وبيـنـ الخـالـقـ المـطـلـقـ الـأـزـلـيـ الـبـاقـيـ الـكـبـيرـ،ـ وـعـنـدـهـ يـنـطـلـقـ الإـنـسـانـ مـنـ حـدـودـ ذـاتـهـ الصـغـيرـةـ إـلـىـ رـحـابـ الـكـونـ الـكـبـيرـ،ـ وـمـنـ حـدـودـ قـوـتـهـ الـهـزـيلـةـ إـلـىـ الطـاقـاتـ الـكـوـنـيـةـ الـعـظـيمـةـ،ـ وـمـنـ حـدـودـ عمرـهـ الـقـصـيرـ إـلـىـ اـمـتـادـ الـأـبـادـ الـتـيـ لـاـ يـعـلـمـهـ إـلـاـ اللـهـ.

يـوـمـ عـرـفـةـ يـوـمـ الـمـعـرـفـةـ،ـ وـيـوـمـ عـرـفـةـ يـوـمـ الـمـغـفـرـةـ،ـ وـيـوـمـ عـرـفـةـ يـوـمـ تـنـتـزـلـ فـيـهـ الرـحـمـاتـ عـلـىـ الـعـبـادـ مـنـ خـالـقـ الـأـرـضـ وـالـسـمـاـوـاتـ،ـ وـمـنـ هـنـاـ قـيـلـ مـنـ وـقـفـ فـيـ عـرـفـاتـ وـلـمـ يـغـلـبـ عـلـىـ ظـنـهـ أـنـ اللـهـ قـدـ غـفـرـ لـهـ فـلـاـ حـجـ لـهـ.

عـنـ جـابـرـ رـضـيـ اللـهـ عـنـهـ:ـ قـالـ رـسـوـلـ اللـهـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ:ـ
((ـمـاـ مـنـ أـيـامـ عـنـدـ اللـهـ أـفـضـلـ مـنـ عـشـرـ ذـيـ الـحـجـةـ،ـ فـقـالـ رـجـلـ:ـ هـنـ أـفـضـلـ أـمـ مـنـ عـدـتـهـنـ جـهـادـاـ فـيـ سـبـيلـ اللـهـ؟ـ قـالـ:ـ هـنـ أـفـضـلـ مـنـ عـدـتـهـنـ جـهـادـاـ فـيـ سـبـيلـ اللـهـ،ـ وـمـاـ مـنـ يـوـمـ أـفـضـلـ عـنـدـ اللـهـ مـنـ يـوـمـ عـرـفـةـ يـنـزـلـ اللـهـ تـبـارـكـ وـتـعـالـىـ إـلـىـ السـمـاءـ الـدـنـيـاـ،ـ فـيـبـاهـيـ بـأـهـلـ الـأـرـضـ أـهـلـ السـمـاءـ،ـ يـقـولـ اـنـظـرـوـاـ عـبـادـيـ جـاـوـونـيـ شـعـثـاـ غـبـراـ،ـ ضـاحـيـنـ جـاـعـونـيـ مـنـ كـلـ فـجـ عـمـيقـ،ـ يـرـجـونـ رـحـمـتـيـ وـلـمـ يـرـواـ عـذـابـيـ،ـ فـلـمـ يـُـرـ يومـ أـكـثـرـ عـتـيقـاـ مـنـ النـارـ مـنـ يـوـمـ عـرـفـةـ))

[صحيح ابن حبان عن جابر رضي الله عنه]
عـنـ أـنـسـ بـنـ مـالـكـ رـضـيـ اللـهـ عـنـهـ قـالـ:ـ وـقـفـ النـبـيـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ بـعـرـفـاتـ وـقـدـ كـادـتـ الشـمـسـ أـنـ تـنـتـشـرـ فـقـالـ:
((ـيـاـ بـلـاـ،ـ أـنـصـتـ لـيـ النـاسـ،ـ فـقـامـ بـلـاـ فـقـالـ:ـ أـنـصـتـوـاـ لـرـسـوـلـ اللـهـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ،ـ فـأـنـصـتـ النـاسـ،ـ

فـقـالـ عـلـيـهـ الـصـلـاـةـ وـالـسـلـامـ:ـ مـعـشـرـ النـاسـ أـتـانـيـ جـبـرـيـلـ آنـفـاـ فـأـقـرـأـنـيـ مـنـ رـبـيـ السـلـامـ،ـ وـقـالـ:ـ إـنـ اللـهـ عـزـ وـجـلـ غـفـرـ لـأـهـلـ عـرـفـاتـ،ـ وـأـهـلـ الـمـشـعـرـ الـحـرـامـ،ـ وـضـمـنـ عـنـهـمـ التـبـعـاتـ،ـ فـقـامـ عـمـرـ بـنـ الـخـطـابـ رـضـيـ اللـهـ عـنـهـ قـالـ:ـ يـاـ رـسـوـلـ اللـهـ هـذـهـ لـنـاـ خـاصـةـ،ـ قـالـ:ـ هـذـهـ لـكـمـ،ـ وـلـمـ أـتـيـ مـنـ بـعـدـكـمـ إـلـىـ يـوـمـ الـقـيـامـةـ،ـ فـقـالـ
عـمـرـ رـضـيـ اللـهـ عـنـهـ:ـ كـثـرـ خـيـرـ اللـهـ وـفـاضـ))

[الترغيب والترهيب عن أنس بن مالك رضي الله عنه]

أحاديث عن يوم عرفة:

روـيـ إـلـيـهـ مـسـلـمـ عـنـ عـائـشـةـ رـضـيـ اللـهـ عـنـهـ أـنـ النـبـيـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ قـالـ:
((ـمـاـ مـنـ يـوـمـ أـكـثـرـ مـنـ أـنـ يـعـقـدـ اللـهـ فـيـهـ عـبـدـاـ مـنـ النـارـ مـنـ يـوـمـ عـرـفـةـ،ـ وـإـنـهـ لـيـدـنـوـ عـزـ وـجـلـ ثـمـ بـيـاهـيـ بـهـمـ الـمـلـاـنـكـةـ فـيـقـولـ:ـ مـاـذـاـ أـرـادـ هـوـلـاءـ،ـ اـنـظـرـوـاـ إـلـىـ عـبـادـيـ شـعـثـاـ غـبـراـ،ـ اـشـهـدـوـاـ أـنـيـ غـفـرـتـ لـهـمـ))

[مسـلـمـ عـنـ عـائـشـةـ رـضـيـ اللـهـ عـنـهـ]

إن الله يغفر للحاج، ومبالغة في إكرامه يلقي في روعه أنه قد غفر له، لذلك يشعر الحاج الصادق بأن الله قد غفر له، وأنه عاد كيوم ولدته أمه.

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

((ما رأى الشيطان يوماً هو فيه أصغر، ولا أدحر، ولا أغrieve منه من يوم عرفة، وما ذاك إلا لما رأى من تنزل الرحمة، وتجاوز الله عن الذنب العظام))

[موطاً مالك عن أبي الدرداء رضي الله عنه]

روى الإمام أحمد والترمذى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

((خير الدعاء دعاء يوم عرفة، وخير ما قلت أنا والنبيون من قبلى: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قادر))

[أحمد والترمذى عن عمرو بن شعيب]

قال عبد الله بن المبارك : جئت إلى سفيان الثوري عشية يوم عرفة وهو جاثٍ على ركبتيه، وعيناه تذرفان، فالتقت إلى، فقلت له : من أسوأ هذا لجمع حالاً؟ قال : الذي يظن أن الله لا يغفر له . موقف عجيب في عرفات، يغطيه نبات بشري مختلف ألوانه، أغصانه تلك الأيدي المرفوعة بالدعاء إلى رب الأرض والسماء، يرى الحاج بين يديه صورةً مصغرةً للمحشر العظيم يوم القيمة، وعليه أن يستعدَّ له منذ الآن، لأن رحلة الحج يعود منها الإنسان إلى وطنه، ولكن المحشر العظيم يوم القيمة لا يعود منها الإنسان إلى وطنه، إنها رحلته قبل الأخيرة استعداداً للرحلة الأخيرة، الناس جميعاً بلباس موحد، وبدعاء موحد، وبابتهاه موحد كلهم ضعاف، كلهم فرادى، نموذج مصغر للرحلة الأخيرة، لقد كان الحج رحلة قبل الأخير استعداداً للرحلة الأخيرة.

رمي الجمرات:

وفي رمي الجمرات بعض الأسرار ؛ فلنبدأ بالجمرة الكبرى في اليوم الأول، وقال بعض العلماء : هذا تكثيف، وحشد في لغة العسكريين، ابدأ بمواجهة الأكبر، وكان عليه الصلاة والسلام يخص الجمرتين الأولى والوسطى بتطويل الوقوف عندها للدعاء، إنها ثلاثة جمرات وبينهما مسافة، ليظل المؤمن واعياً تماماً، لا ينام حتى لا يسقط سلاحه، بينما العدو منه على مرمى حجر، وعليه أن يعلم أن المعركة مع الشيطان متعددة المواقع، ومستمرة، وممتدة مع عمره، لذلك ينبغي أن ترمي ثلاثة جمرات في ثلاثة أيام، فمن تعجل في يومين فلا إثم عليه.

يا أيها الأخوة الكرام حضوراً ومستمعين، يقول الإمام الغزالى رحمه الله تعالى : لا يحصل إر غام أنف الشيطان في أثناء رجمة إلا بطاعتك للرحمن، ومن عاد بعد الحج إلى ما كان عليه من المعاصي والآثام، فليعلم علم اليقين أن الشيطان هو الذي رَجَمَه.

أيها الأخوة الكرام، أيتها الأخوات الكريمات، لقد طار بعض العلماء في سماء الحج، وسبحوا في بحوره الواسعة بل غاصوا فيها، فكانت لهم لمحات وضيئنة، قالوا عن الطواف ؛ كأن الإسلام حجر ألقى فوق محيط، ف تكونت منه دوائر حوله متتابعة متتممة وهكذا بيت الله الحرام، فالطواف حول البيت طواف المحب حول محبوبه، توثيق للعهد بين العبد وربه، تعبير عن حب عميق لرمز التوحيد .

أيها الأخوة الكرام، لقد استقطب البيت الحرام المؤمنين من قارات الدنيا الخمس، فجاءوا نوعيات مختلفة، تحمل كل جماعة هموم مجتمعها، جاءوا ليعودوا في البعد الزماني إلى ماضي هذه الأمة المشرق، وفي البعد المكاني إلى الأرض الذي نزل فيها الوحي.

جاءوا ليعودوا إلى المكان الذي ضم هذه الرسالة الخالدة، للتزوّد بالدروس المفيدة التي تعينهم على صلاح دنياهم وفق منهج ربهم، وصلاح دينهم الذي هو عصمة أمرهم . لا تقوم مصالحهم الدينية وفق منهج الله، ولا مصالحهم الأخروية إلا إذا عظموا هذا البيت واصطلحوا مع الله، وأقاموا منهجه في الأرض.

الحج عبادة زُينَت بمحاسن وآداب، وإذا كان الحج ارتقاءً عن شهوات الحياة الدنيا وماديّاتها، وتدريبها للعبد على التخفّف منها، والإكتفاء باليسير، فلا يليق بالمتلبس بهذه العبادة أن يشغل عنها بما نهى الله تعالى عنه، إنه لا يكفي منك أن تُعرض عن هذه المنهيّات فحسب، بل عليك أن تكون آمراً بالمعروف، ناهياً عن المنكر، إن حسن الخلق، وطيب الكلام، وإطعام الطعام، من أعظم القربات التي يتقرب بها العبد إلى الله عز وجل.

وإذا كان اقراف المعاصي محرم في كل حين، فإنها في مكة، وفي حال الإحرام أشد تحريمًا، وهي أولى بالمنع والزجر والنهي عنها.

الحج لا يكفر الذنوب التي لم يتبع منها صاحبها:

أيها الأخوة في كل مكان، لا يعقل ولا يقبل أن يذهب الحاج إلى بيت الله الحرام قبل أن يتفقه بأركان الحج، وواجباته، وسننه، ومستحباته، وصفة حجة النبي عليه الصلاة والسلام، وما ينبغي أن تكون عليه أخلاق الحاج. لا يعقل ولا يقبل أن تؤدى هذه العبادة الجليلة أداءً بعيداً عن مقاصدها وثمارها . لا يعقل ولا يقبل أن يعود الحاج من أداء هذه الفريضة لكمًا ذهب. لا يعقل ولا يقبل أن يوجد الحاج في المشاعر

المقدسة دون أن يشعر بأية مشاعر مقدسة. لا يعقل ولا يقبل أن يتحرى الحاج سنة أو مستحبًا، ويرتكب من أجلها معصية، أو أن يتجاوز فريضة. لا يعقل ولا يقبل أن يحدّثك الحاج عن كل شيء في الحج إلا الحج. لا يعقل ولا يقبل أن يرمي الحاج الجمرات تعبيرًا عن معاداته للشيطان، ويعود إلى بلدته ليكون العوبة بين يدي الشيطان. لا يعقل ولا يقبل أن يقتصر أمر الله في هذه الفريضة على أن يأتي الحاج من بلاد بعيدة ليجلس في المشاعر المقدسة، يأكل، وينام، ويتكلم في شؤون الدنيا، إن أمر الله في هذه العبادة ليس كذلك، وهو أعظم وأجل من أن يكون كذلك، أن تأتي إليه من بلاد بعيدة لتحقق وجودك المادي في مكان، تمضي هذا الوقت في غير ما أمرت به، وليس هذا المستوى من الحج هو الذي تقوم به مصالح المسلمين في دنياهم وأخراهم.

أيها الأخوة والأخوات، يجب العلم اليقيني بأن الحج لا يكفر الذنوب التي لم يتتب منها صاحبها، فالملقيم على ذنب ولم يتتب منه، وهو مستمر فيه، فإن الحج لا يكفر هذا الذنب، وإنما الحج كفارة وأجر للعبد التائب إلى الله، الراجع إليه، الراجي رحمته وغفوه، والذي أفلع عن ذنبه إفلاعا لا رجعة بعدها . والدليل على ذلك ما رواه الإمام مسلم بإسناده إلى عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال أنس رسول الله صلى الله عليه وسلم:

((يا رسول الله: أنوأخذ بما عملنا في الجاهلية؟! قال صلى الله عليه وسلم: أما من أحسن منكم في الإسلام فلا يؤخذ بها، ومن أساء أخذ بعمله في الجاهلية والإسلام))

[مسلم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه]

الحج نوع من الجهاد:

مع أن الإسلام يهدم ما كان قبله، إلا أنه من أساء في الإسلام جوزي بعمله السيئ في الإسلام، وما كان قبل الإسلام، وكذلك الحال فيمن له معاصر لم يتتب منها قبل الحج فإن الحج لا يهدم هذه المعاصي، وهذا يعني أن الحج لا يغفر إلا التائب من الذنب، والعائد إلى الله، الراجع إليه، المقلع عن ذنبه، وأما المقيم على معاصيه وذنبه المستمر فيها، فإن الحج لا يهدم ما كان قبله في هذه الحالة . وقد ورد أن الحاج إذا حج بمال حرام ووضع رجله في الركاب، وقال: لبيك اللهم لبيك، نودي أن لا لبيك ولا سعديك وحجك مردود عليك.

عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

((تعجلوا إلى الحج يغنى الفريضة فإن أحدكم لا يذر ما يعرض له))

[أخرجه أحمد في مسنده بنى هاشم عن ابن عباس]

عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:
((تَابُوا بَيْنَ الْحَجَّ وَالْعُمْرَةِ، فَإِنَّهُمَا يَتْفَيَانِ الْفَقْرَ وَالذُّلُوبَ كَمَا يَتْفَيُ الْكَبِيرُ حَبَثَ الْحَدِيدَ وَالْدَّهْبَ
وَالْفِضَّةَ، وَلَيْسَ لِلْحَجَّ الْمَبِرُورَةُ تَوَابٌ إِلَّا الْجَنَّةُ))

[أخرجه الترمذى والنسانى وابن ماجة وأحمد عن عبد الله بن مسعود]

وعن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أله قال:
((الْحُجَّاجُ وَالْعُمَارُ وَفَدُ اللَّهِ، إِنْ دَعَوْهُ أَجَابُهُمْ، وَإِنْ اسْتَغْفِرُوهُ غَفَرَ لَهُمْ))

[أخرجه ابن ماجة عن أبي هريرة]

هذه ميزة لا تقدر بثمن، أن تكون مُجاب الدعوة.

من مات، ولم يجاهد، ولم يحدث نفسه بالجهاد مات على ثلمة من النفاق، فإن لم يُتح للمسلم الجهاد القتالي، فقد أتيح له جهاد النفس والهوى، أتيح له jihad الدعوى، وأتيح له الحج. والحج نوع من الجهاد وإليكم الدليل، عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

((جَهَادُ الْكَبِيرِ وَالصَّغِيرِ وَالضَّعِيفِ وَالْمَرْأَةِ الْحَجُّ وَالْعُمْرَةُ))

[أخرجه النسانى عن أبي هريرة]

وفي حديث آخر عن أم سلمة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

((الْحَجُّ جَهَادُ كُلِّ ضَعِيفٍ))

[أخرجه ابن ماجة وأحمد في المناسك عن أم سلمة]

وفي حديث ثالث عن عائشة بنت طلحة عن عائشة قالت: قلت:

((يَا رَسُولَ اللَّهِ عَلَى النِّسَاءِ جِهَادٌ؟ قَالَ: نَعَمْ، عَلَيْهِنَّ جِهَادًا لَا قِتَالَ فِيهِ، الْحَجُّ وَالْعُمْرَةُ))

[أخرجه ابن ماجة وأحمد عن عائشة]

وصفٌ دقيقٌ من قبل الرسول لما ينبغي أن يكون عليه المسلمون في شئ أقطارهم:

أيها الناس، إن المسلمين يتلقون على أصول الدين، وعلى المحاكمات القطعية التي جاء الدين بها، هم يؤمنون بهـ واحد لا شريك لهـ، في ذاتهـ، وفي أسمائهـ، وفي صفاتـهـ، وفي ربوبـيتهـ، وفي ألوهـيتهـ، فهو المستحق للعبادة وحدهـ، وهم يؤمنون ببنيـ واحدـ، هو خاتـم الأنبياءـ والمرسلـينـ، جاءـ بـ أفضل الشرائعـ وآخرـهاـ، وهو واجـب الاتـباع إلىـ قيـام السـاعةـ، ويـتجـهـونـ إلىـ قـبـلةـ وـاحـدةـ، ويـقرـؤـونـ قـرـآنـ وـاحـداـ، يـقطـعونـ كلـهمـ بأنهـ محـكمـ مـحفـوظـ منـ الـزيـادةـ وـالـنقـصـانـ، لمـ تـطـلهـ يـدـ التـحرـيفـ وـالتـبـديلـ وـالتـغـيـيرـ فـيـ الـأـفـاظـهـ وـمـجمـلاتـ معـانـيهـ، ويـصـومـونـ شـهـراـ وـاحـداـ وـيـحـجـونـ بـيـنـاـ وـاحـدـاـ، وـيـقـفـونـ بـعـرـفـةـ مـوقـعاـ وـاحـداـ، تـارـيخـهـ وـاحـدـ، وـمـصـيرـهـ وـمـسـتـقـبـلـهـ وـاحـدـ، حتـىـ التـحـديـاتـ الـتـيـ تـواـجـهـ الـمـسـلـمـينـ هـيـ تـحـديـاتـ وـاحـدةـ فـيـ الجـملـةـ .
فـإـنـاـ نـجـدـ الـأـذـىـ الـذـيـ يـوجـهـ إـلـىـ الـمـسـلـمـينـ كـلـهـمـ، يـوجـهـ إـلـيـهـمـ شـعـوبـاـ وـأـمـمـاـ، بلاـ تـميـزـ بـيـنـ أـقـويـاءـ الـإـيمـانـ

وضعفاء الإيمان، وبين العل ماء والجهلاء، وبين الصلحاء وال fasdien ومع كل هذه المقومات فهم متفرقون، متنازعون، بأسهم بينهم، تفرقهم الأهواء والمصالح، وهذا يؤكد على الأمة ضرورة أن تعمل على تحقيق معنى هذا الانتماء، ومعنى تلك الوحدة.

ومن أخطر توجيهات النبي الكريم في هذا الظرف الصعب الذي يُحَدِّق بالأمة العربية والإسلامية قوله: ((إِنَّ سَلَامَ الْمُؤْمِنِينَ وَاحِدَةٌ، لَا يُسَالُ الْمُؤْمِنُ دُونَ الْمُؤْمِنِ فِي قِتَالٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ إِلَّا عَلَى سَوَاءٍ وَعَذْلٍ بَيْنَهُمْ))

[السيرة النبوية لابن هشام]

أيْ لا يحق في المنهج الإِسلامي لفَتَةٍ أَنْ تصطلحَ مع عدوٍ بشكِّ انفراديّ، هذا وصفٌ دقيقٌ من قِبَل مبعوث العناية الإلهية لِمَا عليه المؤمنون، أو لِمَا ينبغي أَنْ يكونوا عليه في شَتَّى أقطارهم وديارهم، من تعاونٍ وتناصُرٍ وتعاطُفٍ، فهم كالجسد الواحد نصَحةً متوادون، وهم بنيانٌ واحدٌ يشدُّ بعضُهم بعضاً، هم يَدُّ على مَنْ سواهم، سُلْمُهُمْ واحدةٌ، وحرَبُهُمْ واحدةٌ، هذا ما ينبغي أَنْ يكونَ عليه المؤمنون في شَتَّى أقطارهم وأُمصارهم. وهذا ما يؤكده السيد الرئيس في أكثر خطاباته.

عدو جديد استحدثته قوى الهيمنة والطغيان لتشويه الدين الإسلامي الحنيف:

أما عن الطرف الآخر فمع تزايد قناعة الطرف بزوال أسباب التوتر الدولي، لكن هذه القناعة لم تكن مناسبة لمصالح قوى الهيمنة والطغيان، لذا كان لا بد لهم من ابتداع عدو جديد، للإبقاء على حالة التوتر، وما يعنيه من إبقاء أسباب التسلط ومبررات الهيمنة على دول ومناطق متعددة في العالم، يتحدث السيد الرئيس في مؤتمرات القمة الإسلامية عن هذا العدو الجديد الذي استحدثوه، فيقول : هذا العدو الجديد الذي ظهر في التسعينيات هو ديننا الإسلامي الحنيف، دين الأخلاق، والعدل، والمحبة الذي تم تشويهه إعلامياً، وتتقيفياً، وتربيوياً لـ يغدو دين القتل والتطرف والإرهاب، فكلما حدث اضطراب في منطقة ما من العالم وجهت أصابع الاتهام للإسلام، ولو لم يكن للمسلمين وجود في تلك المنطقة، وكل عملية تخريب أو عمل إرهابي منفذه هو مسلم حتى يثبت العكس، غالباً ما يثبت العكس، أما الاتهام فيبقى كما هو، وبالتالي حرب الإسلام الصحيح من خلال تغذية التطرف واستخدامه في ضرب الإسلام والمسلمين، والآن يصور هذا التطرف الذي جرت تتميته من خارج الأمة الإسلامية على أنه الإسلام الحقيقي، وذلك إمعاناً في تشويه صورته الناصعة، وإسرائيل أربع من شوه هذه الصورة وأية صورة حقيقة أخرى، انتهى كلام السيد الرئيس.

ولولا أن متحدثاً باسم إدارة القاعدة التي انطلقت منها المركبة الفضائية كولومبيا، والتي تحطمت قبل أيام، لو لا أن هذا المتحدث سارع واستبعد أن يكون هناك عمل إرهابي وراء الحادث لأشير بأسباب الاتهام إلى المسلمين.

تقين الله عز وجل تقين تأديب لا تقين عجز:

بمناسبة هطول الأمطار الغزيرة التي شهدتها بلدنا الطيب، حيث اقتربت كمية الأمطار الهاطلة حتى الآن من المعدلات السنوية، ولا زلنا في منتصف موسم الأمطار، أصبح لزاماً علينا أن نشكر الله تعالى على نعمه العظيمة، وعطياته الجزيلة، فقد ورد في الحديث القسري أن الله عز وجل يقول: ((أَصْبَحَ مِنْ عَبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ، فَأَمَّا مَنْ قَالَ مُطْرُنَا بِقُضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ فَذُلِكَ مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ بِالْكَوْكَبِ؛ وَأَمَّا مَنْ قَالَ يَنْوَعُ كَذَا وَكَذَا فَذُلِكَ كَافِرٌ بِي وَمُؤْمِنٌ بِالْكَوْكَبِ))

[متقد عليه عن زيد بن خالد الجهمي]

إليكم هذا الخبر الذي يؤكد أن تقين الله للأمطار لا يمكن أن يكون تقين عجز كشأن البشر حينما يقتنون، ولكنه تقين تربية وتأديب كما يظن المؤمنون.

أعلمت وكالة الفضاء الأوروبية أن المرصد الفضائي الأوروبي العامل بالأشعة تحت الحمراء رصد غيمة من البخار في الفضاء الخارجي، يمكن لها أن تملأ محيطات الأرض ستين مرةً في اليوم الواحد بالمياه العذبة. وعلق أحد علماء الفلك أن المرصد عثر على غيوم للبخار في أكثر من مكان في الكون، إلا أن هذه الغيمة التي اكتشفها مؤخراً، تعد مصنعاً هائلاً لبخار الماء، يمكنها أن تنتج من الماء ما يكفي لملء جميع محيطات العالم بالماء العذب ستين مرةً في اليوم الواحد، وهذا مصدق قول الله تعالى:

(وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا تُنَزَّلُ إِلَّا بِقَدْرِ مَعْلُومٍ)

(سورة الحجر)

وأما معنى التقين التربوي أو التأديبي، ففي قوله تعالى:

(وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَعْوًا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُنْزَلُ بِقَدْرِ مَا يَشَاءُ)

(سورة الشورى الآية: 27)

وقال:

(وَأَنْ لَوْ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً عَدْقَا (16) لِنَفْتَهُمْ فِيهِ (17))

(سورة الجن)

وقال:

(وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَأَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أَنْزَلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكْلُوا مِنْ فُوقِهِمْ وَمَنْ تَحْتَ أَرْجُلِهِمْ)

(سورة المائدah الآية: 66)

فالجاهلون والشاردون يخوفون أهل الأرض مرّةً بنقص الغذاء، وأخرى بنقص الماء، وتارةً باقتراب نضوب آبار النفط، فيفتعلون حروباً من أجل المياه تارةً، وحروباً من أجل الفحم تارةً أخرى، وأحدث هذه الحروب من أجل النفط، وفاتهم أن تقين الله عز وجل هو تقين تأديب لا تقين عجز . أيها الأخوة في كل مكان حاسبو أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم، واعلموا أن ملك الموت قد تخطانا لغيرنا وسيتخطى غيرنا إلينا، الكيس من دان نفسه، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني، والحمد لله رب العالمين.

الخطبة الثانية:

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله ولِي الصالحين، وأشهد أن سيدنا محمد عبده ورسوله، صاحبخلق العظيم اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

تحطم المركبة كولومبيا رسالة من الله عز وجل:

بمناسبة الخبر المؤسف خبر تحطم المركبة الفضائية كولومبيا قبل موعد وصولها إلى الأرض بست عشرة دقيقة، وقد كانت على بعد مئتي ألف قدم من سطح الأرض، وكانت سرعتها ستة أضعاف سرعة الصوت، وقد سقط أكبر أجزائها في بلدة تدعى فلسطين، وكانت الرحلة المذكورة قد انطلقت في وسط إجراءات أمنية مشددة لم تشهد القاعدة لها مثيلاً، لسبب لا يخفى، ولعل تحطمها رسالة من الله إلى من تعنيهم هذه الرسالة.

عاليٌّ من علماء الفلك كان في زيارة هذه القاعدة التي انطلقت منها تلك المركبة، وكانت على اتصال مستمرٍ بمركبة فضائيةٍ كانت قد أطلقت قبل وصوله إليها بقليل، فإذا برائد الفضاء يتصل بمركز انطلاق هذه المركبة، ويقول بالحرف الواحد: لقد أصبحنا عميّاً لا نرى شيئاً، المركبة أطلقت في وضاح النهار، وبعد وقتٍ قليلٍ تجاوزت هذه المركبة الغلاف الجوي، ودخلت في منطقة لا هواء فيها، وأصبح الجوًّا مُظلماً ظلاماً كلياً، فصاح هذا الرائد: لقد أصبحنا عميّاً لا نرى شيئاً، مما الذي حصل؟ الذي حصل أن أشعة الشمس إذا وصلت إلى الغلاف الجوي تناشر ضوءُها، وتشتت بين ذرات الهواء وذرّات الغبار، وهذا ما يُعبّر عنه علماء الفيزياء بانتشار الضوء أو بتشتت الضوء، تتعكس أشعة الشمس على ذرات الهواء وذرّات الغبار فتجعلها مُتألقةً، وهذا الذي يسمى في الدنيا : منطقة فيها ضوء وليس فيها أشعة شمس، كجوار المسجد، فإننا نرى فيه بعضاً، هناك ضوء، وليس معه أشعة شمس، فلما غادرت هذه المركبة الغلاف الجوي انعدَّ تناشر الضوء، وأصبح الفضاء مظلماً، شديد الظلام، لا يُرى فيه

شيء، لو عُدنا إلى كتاب الله الذي نزل قبل أربعة عشر قرناً ونيفًا، ووقتها ما عرفَ أهلُ الأرض الصّعودَ إلى القمر، وما عرفوا غزوَ الفضاء، وما عرفوا تجاوزَ الغلافِ الجويّ، وما عرفوا كل ذلك، لو عُدنا إلى كتاب الله لوجّدنا هذه الآية ذات الإعجاز العلمي. قال الله تعالى:

(وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَاباً مِنَ السَّمَاءِ فَظَلُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ (15))

(سورة الحجر)

هذا الذي قاله رائدُ الفضاء : لقد أصبحنا عُمّيًّا، هذا قد جاء به القرآنُ قبلَ أربعة عشرَ قرناً، أليس هذا دليلاً قطعياً على أنَّ هذا الكلامَ كلامٌ خالقُ البشر، عُرِفتْ هذه الحقيقةُ الآن قبلَ سنتين معدودة، حينما عَرَفَ الإنسانُ الغلافَ الجويَّ واقْتَحَمَهُ، وألغىَ تناُثُرَ الضّوءِ، ودخلَ في ظلامِ دامِس، عرفَ كيفَ أنَّ الفضاءُ الخارجيَّ مُظلِّمٌ ظلاماً مطبياً، ولا يُرى في الفضاءِ إلا كوكبٌ متالقٌ من دونِ أنْ ينتشرَ ضوءُه، قال تعالى:

(وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَاباً مِنَ السَّمَاءِ فَظَلُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ (15))

(سورة الحجر)

يؤكّدُ هذا قولُ الله عز وجل:

(سَرِّيْهُمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ (53))

(سورة فصلت)

والحمد لله رب العالمين